

مبادرات نيجيريا لخدمة اللغة العربية والنهوض بها

ورقة علمية مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث
للغة العربية المنعقد بدبي دولة الامارات العربية المتحدة
خلال الفترة من 7-10 مايو 2014 الموافق 8-11 رجب 1435 هـ

إعداد

الدكتور / محمد العاشر أول

محاضر بقسم اللغة العربية - جامعة بايرو كنو - نيجيريا

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من آياته خلق السماوات والارض واختلاف الالسن والالوان ، ثم الصلاة والسلام على النبي العربي خير من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه البلغاء الفصحاء ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

تمثل اللغة العربية إحدى اللغات العالمية الكبرى ، وهي لغة حية غنية نابضة بالحياة ، وهي أقدم اللغات العالمية التي لا زالت تحافظ على كيانها وأصالتها على مر العصور والقرون.

اللغة العربية هي أكثر لغات المجموعة السامية متحدثين ، وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم ، يتحدث بها أكثر من 422 مليون نسمة ، ويتوزع متحدثوها في الدول العربية ، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى في العالم ، وخاصة في آسيا وأفريقيا وعلى الأخص شمال وغرب افريقيا التي نيجيريا جزء منها .

وتتميز اللغة العربية بسمو وقداسة فهي لغة ذات ارتباط ديني، فتعلمها وتعليمها ونشرها جزء من الدين ، و بقدرات جعلتها قادرة على مواكبة مستجدات الحاضر والمستقبل ،ولعل هذا ما جعل الدول والمؤسسات والهيئات العالمية والقطرية يهتمون بها ويطلقون المبادرات المتنوعة لخدمتها والنهوض بها. وهذه الورقة المتواضعة بعنوان: "مبادرات نيجيريا لخدمة اللغة العربية والنهوض بها" تحاول تسليط الضوء على تلك المبادرات والجهود التي تقوم بها نيجيريا لخدمة اللغة العربية والنهوض بها ، وسيتم مناقشة هذا الموضوع من خلال الجزئيات الآتية:

- نبذة عن دولة نيجيريا
- خلفية تاريخية عن اللغة العربية في نيجيريا
- نماذج من مبادرات الحكومة النيجيرية لخدمة اللغة العربية والنهوض بها
- تحديات اللغة العربية في نيجيريا
- الخاتمة.

نبذة عن دولة نيجيريا

فكلمة " نيجيريا" يونانية الأصل وهي منحرفة عن نيغرو وتعني الزنجي الأسود الذي شاع في الأوساط العربية القديمة ويقال إن احد المستعمرين فولور شو (flora show) هو الذي أطلق هذا الاسم في القرن التاسع عشر الميلادي وهو اسم مشتق من نهر نيجر.

وتقع نيجيريا داخل المنطقة الاستوائية بين خطي عرض 4،14 شمال خط الاستواء وخط طول 14 درجة وشرق جرينتس(1).

تحدها من الشرق دولة الكمرون ومن الشمال الشرقي دولة تشاد، ومن الشمال دولة نيجر، ومن الغرب دولة بنين ومن الجنوب المحيط الأطلنطي(2). وتحتوي نيجيريا على ست وثلاثين ولاية والعاصمة الوطنية هي "أبوجا" وتبلغ مساحتها 923,768 كيلو متر مربعاً(3).

ويتراوح المناخ فيها بين مناخ ممطر طول العام ذلك في الجنوب وبين مناخ تقل الحرارة والأمطار فيه فتنمو الغابات المدارية ، وتقع وسط النطاق هضبة واسعة تشتهر برعي الحيوان وانتاج الألبان(4).

ويبلغ تعداد سكانها حسب احصائيات 2006 م، 140,431,790 ويمثل المسلمون الغالبية العظمى حيث تبلغ نسبتهم نحو 65 % ، ويقدر عدد القبائل فيها بأكثر من ثلاثمائة قبيلة(5). وأشهر هذه القبائل الهوسا والفلاني والكانور ونفاوا في الشمال واليوربا والإيبو في الجنوب. وقد استقلت نيجيريا من الاستعمار البريطاني عام 1960م. واللغة الرسمية فيها هي اللغة الإنجليزية.

خلفية تاريخية عن اللغة العربية في نيجيريا

إن أولية اللغة العربية في نيجيريا تعود إلى ما قبل دخول الإسلام فيها، فقد كان هناك صلة وثيقة تربط شمال أفريقيا وغربها قبل ظهور الإسلام بمئات السنين ، وأبرز علامة تدل على ذلك هي أن ثلاثة من أهم طرق القوافل التجارية التي كانت تخترق الصحراء الكبرى تلتقي كلها داخل نيجيريا ، وهذا بلا شك أتاح لأهل هذه المنطقة فرصة الاتصال باللغة العربية ، و مهما يكن من أمر، فإن البداية الحقيقية للغة العربية في نيجيريا كانت بدخول الإسلام فيها، وقد أثبتت المصادر بأن الإسلام دخل في هذه المنطقة

(نيجيريا) فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الميلادي(6) فالإسلام مرتبط باللغة العربية ،أينما وضع قدميه دخلت معه اللغة العربية، وقد انتشرت اللغة العربية مع انتشار الإسلام في هذه المنطقة.

وتعتبر فترة الخلافة الصكوتية فترة ازدهار اللغة العربية حيث حظيت بالاهتمام البالغ من قبل أبناء هذه المنطقة وأصبحت هي اللغة الرسمية لهذه الدولة، بها يكتب الأمراء والولاة الخطابات الرسمية وغيرها من الرسائل والوثائق التي تتعلق بالأمور الدينية والدنيوية.

ثم عقت هذه الفترة فترة الاستعمار البريطاني -1903-1960م- الذي شن الهجمات الشرسة على اللغة العربية وحاول كل المحاولات للقضاء عليها وطمس معالم ثقافتها، وذلك لأنه أدرك تماماً أهميتها في هذه المنطقة، وخاصة الشمال حيث كانت هي اللغة الرسمية والعلوم والثقافة ، وأن بعض اللغات المحلية الهامة تكتب بالحرف العربي وبذلك يتعلم الناس الكتابة والقراءة بلغاتهم المحلية.

فبما أن المستعمر قد أدرك حجم قضيته المتمثلة في محاربة الإسلام من خلال القضاء على التعليم العربي والدين الإسلامي – قام بتصميم البرامج والخطط المتنوعة لتحقيق اهدافه المنشودة واستطاع من خلال ذلك بعد استيلائه الكامل على المنطقة ان يفرض لغته وثقافته على أهل هذه المنطقة واستبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني، وأصبحت اللغات المحلية تكتب به.

وبعد الاستقلال في عام 1960م بدأ المسلمون من ابناء هذه المنطقة محاولة تنشيط التعليم العربي والديني وتخليصه من قبضة المستعمر الذي كاد أن يقضي عليه. أنشئت المدارس والمؤسسات العلمية وبدأت البعثات العلمية تنطلق من المنطقة إلى البلاد العربية كالسودان ومصر والمملكة العربية السعودية ،هذا إلى جانب جهود العلماء والشيوخ الذين كرسوا حياتهم لنشر العلوم الإسلامية واللغة العربية في الخلاوي والدهاليز.

ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا ، لم تفتقر الحركة العلمية ونشر اللغة العربية في المنطقة بل ظل عدد الراغبين في تعليم العربية يتزايد بصورة لافتة للأنظار حيث نجد الاقبال الهائل للغة العربية حتى

من المثقفين المسلمين وغير المسلمين ممن كان لهم الشهادات العلمية في شتى التخصصات، و من جراء ذلك ظهرت برامج جديدة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، وتم فتح مراكز تعليم الكبار في أبوجا وولاية كدونا وولاية كنو وغيرها .

مبادرات نيجيريا لخدمة اللغة العربية والنهوض بها.

على الرغم مما لقيته اللغة العربية في هذه المنطقة من المكائد والهجمات الشرسة التي قام بها المستعمر البغيض؛ قيص الله لها حماة من أبناء هذه الدولة العملاقة حيث وقفوا وفقة جادة لحماية اللغة العربية معتقدين ذلك واجباً من واجبات دينهم الحنيف ، ومسؤولية دينية تقع على عاتقهم، و ظلوا يطلقون مبادرات متنوعة لخدمة العربية ونشرها على مستوى الدولة والولايات وسأذكر هنا أهمها.

1. انشاء المدارس النظامية لتعليم اللغة العربية والدراسات إلى جانب تعليم اللغة العربية بالطريقة

التقليدية المعروفة عند الشيوخ بحيث يتردد الطلاب بين النظامين الحديث والقديم وقد بدأ هذا بعد الاستقلال في الستينات.

2. ادخال دراسة اللغة العربية في الجامعات والكليات والمعاهد العلمية العليا، وحالياً يدرس اللغة

العربية على المستويات الجامعية (بكالوريوس الى الدكتوراه) في ست وثلاثين جامعة نيجيرية .

3. انشاء قرية اللغة العربية في ولاية برنو- مِيدُغِرْ – وهي قرية كبيرة انفق فيها الدولة أموالاً طائلةً

لتهيئة جو مناسب لطلاب اللغة العربية – وكان سكان المنطقة قبائل عربية الذين استوطنوا

المنطقة منذ زمن بعيد. ولاشك أن هذه المبادرة المتميزة قد لا تجد لها مثيلاً في بلاد الشعوب

الإسلامية.

4. اختراع برنامج تعليمي خاص لحفظ القرآن الكريم الذين لم حفظوا القرآن في الخلاوي وليس

لديهم أية شهادة علمية، و في خلال هذا البرنامج يتعلمون مبادئ العلوم الأساسية و اللغة العربية

التي تمكنه من فهم كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم ، لاحظت الحكومة ان حفظ القرآن

وخاصة في شمال البلاد يحفظون القرآن عن ظهر القلب حفظاً دقيقاً ، إلا أنهم لا يفهمون شيئاً عن

اللغة العربية ، بل بعضهم لا يعرفون حتى كيف يؤدون واجباتهم الدينية كالصلاة وغيرها، وقد نجحت هذه التجربة مائة في المائة ، بدليل ان بعضا من خريجي هذا البرنامج حصلوا على الشهادات العلمية العالية في اللغة العربية ، والدراسات الاسلامية ، ومنهم من يحاضرون في الجامعة ، بل هناك الآن محاولة جادة لفتح كلية القرآن الكريم في جامعة بايرو كنو .

5. تقرير مادة اللغة العربية كمادة اختيارية بجانب اللغة الفرنسية في مناهج الدولة - للمدارس الثانوية- وقد كانت العربية إلى التسعينات مندمجة في الدراسات الاسلامية ولم تدرس كمادة مستقلة إلا الآن.

6. انشاء الخلاوى القرآنية الحديثة ،والحدائة هنا تتمثل في إنشاء مدارس خاصة بنيت على طراز هندسى علمي مناسب، وادخال مادة اللغة العربية ،والدراسات الاسلامية، والمواد الاخرى كالحاسوب التي تمكنهم من مواكبة العصر، وقد تم تقرير هذا المشروع قبل العامين الماضيين.

7. وفي العام الماضي قرر والى ولاية كنو بانشاء مدرسة ثانية للغة العربية والدراسات الاسلامية في جميع محليات الولاية، وكانت ولاية كنو تحتوي على أربع واربعين محلية ، ويقدر عدد سكانها ب- عشرة ملايين نسمة ، تسع وتسعين في المائة مسلمون، هذا إلى جانب كونها في المرتبة الثانية من الناحية الإقتصادية، وهذا بلا شك مبادرة هامة لخدمة اللغة العربية والنهوض بها في نيجيريا.

وهذه هي أهم الانجازات والمبادرات التي قامت بها دولة نيجيريا لخدمة اللغة العربية والنهوض

بها والتي تعكس لنا مدى اهتمام نيجيريا باللغة العربية.

تحديات اللغة العربية في نيجيريا:

على الرغم مما تمت الاشارة إليه في الصفحات السابقة من تاريخ اللغة العربية ووضعها في هذه

المنطقة ، وصمود أهلها أمام المستعمر وخلفه لحماية هذه اللغة ونشرها والنهوض بها وذلك كله متمثل

فيما سبقت الإشارة إليه من المبادرات الصادرة من قبل المسؤولين ظلت هناك تحديات متعددة ومتلونة بأشكال يصعب الإحاطة بها في هذه العجالة ، ولكن سأشير إلى أهمها فيما يلي:

1. عدم التمويل الكافي من قبل الحكومة.

فالمؤسسات العلمية التي ترعى حركة اللغة العربية في نيجيريا عامة تعاني من شح التمويل الذي ظل يعرقل سيرها إلى الأمام ، ولذلك تفتقر إلى كثير من الكتب المدرسية المناسبة للاتجاهات النفسية للطلاب، والوسائل التعليمية الحديثة ، وهذا بلا شك حال بينها وبين اداء مسؤولياتها الاكاديمية والاجتماعية كما ينبغي ، وانعكس ذلك سلباً على الأثرار التي تنتجها(7).

2. شح المدرسين المؤهلين تربوياً:

يمثل المدرس ركن زاوية في العملية التعليمية ، فلذلك له صفات ومؤهلات لا بد من توافرها حتى يستطيع القيام بواجبه التربوي ، فالمدرسون في المدارس العربية في نيجيريا أكثرهم غير مؤهلين تأهيلاً تربوياً ، بل حتى المؤهلين منهم لا يتلقون تدريبات مهنية أخرى التي تمكنهم من مواكبة هذا العصر المتجدد. ولعله لذلك يصدر من بعضهم السلوك السلبي تجاه اللغة العربية ، كوصف بعضهم للغة العربية بأنها أصعب اللغات، وتخويف الطلاب أثناء التدريس ، واستخدام الأساليب القاسية المنفرة في التدريس، وهذا بلا شك ، يهدد مسار اللغة العربية في نيجيريا.

3. انعدام العلاقة الأكاديمية بين الجامعات النيجيرية وجامعات الدول العربية.

وعلى الرغم من حوالي 37 قسماً للغة العربية في الجامعات النيجيرية ، وهذه الإسهامات العلمية الأكاديمية التي لازال العلماء النيجيريون يقومون بها ؛ إلا أنه لا يوجد اتصال مباشر بين هذا الكم الهائل من أقسام اللغة العربية وبين أقسام اللغة العربية في جامعات الدول العربية. وعدم هذه العلاقة الأكاديمية حالت الطرفين دون استفادة كل من خبرات الآخر وثقافته ، وهذا خلاف

ما نلمسه في الاقسام الأخرى كقسم اللغة الانجليزية، وحتى بعض أقسام اللغات المحلية حيث نجد التعاون والتبادل الثقافي و الأكاديمي بينها وبين جامعات الدول الأخرى .

4. الفقر:

يمثل الفقر عائقاً كبيراً لدى بعض طلاب اللغة العربية في نيجيريا ، فكثير من الطلبة الذين يدرسون اللغة العربية من الطبقة الفقيرة ، فتجد كثيراً منهم بعد التحاقه بالجامعة او غيرها من المؤسسات العلمية لا يجد ما يسد د به رسوم الدراسة، بل بعضهم لا يجد ما يسد به رمقه فيضطر الى ترك الدراسة فيقع فريسة الفقر والجوع وبالتالي تضعف ذاكرته وجديته وتتلاشى عبقريته في شذب العيش.

5. الصراع الثقافي:

فيما ان اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية ولغة العلوم في نيجيريا ، هذا إلى جانب ما تتمتع به (الإنجليزية) من النفوذ والتأثير على المستوى العالمي ، وكل هذا أدى إلى نشوء صراع ثقافي بين طلاب العربية وطلاب الإنجليزية، فكون الإنجليزية وطلابها يتمتعون بالعناية والرعاية الكاملة من الدولة لذلك تجدهم (طلاب الإنجليزية) ينظرون إلى طلاب العربية نظرة احتقار واستخفاف ، وهذا أثر سلباً على بعض طلاب اللغة العربية، بل حتى بعض المدرسين ولذلك تجد أمثال هؤلاء لا يستشعرون بشرف الانتماء للعربية، بل يشتمنون منها، ونلمس هذا السلوك السيئ حتى عند بعض أبناء العرب أنفسهم.

6. لامبالاة العرب

شعب العرب شعب متميز بين شعوب العالم ،فهو شعب له مكانة عالية في العالم من الناحية الدينية و الساسية والاقتصادية ، وكان الشعوب المسلمة تقدرهم وتحترمهم احتراماً يكاد يصل

إلى درجة التقديس ، وذلك كله لارتباط دينهم باللغة العربية، وعلى الرغم من ذلك كله فالعرب لايبالون ولا يلقون اهتماما للذين يهتمون بلغتهم ، ويساهمون في نشرها والنهوض بها ، وهذا السلوك السيئ لانلمسه عند شعوب أخرى كالإنجليزيين والفرنسيين والصينيين وغيرهم ، فمثلا في نيجيريا تم انشاء القريتين للغة العربية في ميدغر شمال نيجيريا وللغة الفرنسية في بدغر جنوب نيجيريا ، وذلك في العام 1991م، أيام الرئيس السابق إبراهيم بدماسي بابن غدا، فمنذ ذلك الوقت فتحت أبواب التعاون والتبادل الثقافي والأكاديمي بين قرية اللغة الفرنسية وفرنسا ، وأصبح هناك زيارات تشجيعية من المسؤولين الفرنسيين ، فقد زار القرية السفير الفرنسي HE M. Jean-Michel .DUMOND في اليوم 2008/11/14م، (8) وهناك أيضا مبادرات فعالة مستمرة منهم لتطوير القرية ، فمثل هذه المبادرات الفعالة و الزيارات التشجيعية ، وهذا الاهتمام البالغ مفقود تماما عند العرب ، فقد أخبرني مدير قرية اللغة العربية السابق أ.د. تجاني المسكين (9) بأنهم حاولوا فتح أبواب التعاون والتفاعل العلمي و التبادل الثقافي والأكاديمي بين القرية والدول العربية ومؤسساتهم العلمية ، واستخدموا كل السبل والوسائل المتاحة لتحقيق ذلك ولكن محاولاتهم لم تكمل لها النجاح ، ولم يجدوا تجاوبا إيجابيا من العرب ، وهذا السلوك السلبي الذي يمارسه العرب يمثل حجر عثرة أمام تقدم اللغة العربية في نيجيريا.

فهذه هي أهم تحديات اللغة العربية في نيجيريا .

وفي ختام هذه الورقة المتواضعة التي سلطت الأضواء على الخلفية التاريخية للغة العربية في نيجيرية وأشارت إلى أهم المبادرات التي صدرت من ابناء شعبها الطيب ، ثم تطرقت الورقة إلى ايراد أهم التحديات التي تواجهها اللغة العربية في نيجيريا يلخص الباحث إلى تسجيل التوصيات الآتية عليها تساهم في دفع عجلة سير اللغة العربية في نيجيريا:-

1- رفع مستوى تمولي للغة العربية من الحكومة، وذلك من خلال الاتصال ببعض المسؤولين

المهتمين بالدين واللغة العربية ومناقشة الأمر معهم بطريقة لينة تثير فيهم الغيرة والحماس نحو

لغة دينهم الحنيف هذا إلى جانب الاستعانة ببعض المؤسسات الدولية والقطرية التي تهتم بشئون العلوم والثقافة كيونسكو وأسسكو وغيرها من المؤسسات الدولية والقطرية والوطنية.

2- اقامة الدورات التأهيلية والورشات العملية لرفع المستوى الأدائي للمدرسين حتى يتأهلوا تأهيلا مهنيا ليتمكنوا من القيام بمهامهم التعليمية وينسجموا مع هذا العصر المتجدد.

3- ايجاد العلاقة الأكاديمية بين الجامعات النيجيرية والجامعات العربية، ويمكن الاستخدام هذا المؤتمر القيم كنقطة انطلاق نحو كسر هذا الحاجز الذي عرقل سير اللغة العربية إلى الأمام.

4- على المؤسسات الخيرية في داخل وخارج نيجيريا الاهتمام بتمويل الأنشطة العلمية والثقافية وإعطاء منح دراسية حتى يتمكن الطلاب الفقراء من ابناء المسلمين في هذه المنطقة من مواصلة دراستهم في اطمئنان وسكينة حتى يتمكنوا من اداء واجباتهم الدينية والاجتماعية والثقافية.

5- على الدول العربية فتح آفاق جديدة للتفاعل الثقافي والتبادل المعرفي بينها وبين الدول الأخرى، وخاصة دول الشعوب الإسلامية لنشر اللغة العربية، والوقوف أمام المد الغربي الذي يسعى لطمس معالم الثقافة العربية والإسلامية في بلاد الشعوب الإسلامية.

فلا أدعى الاحاطة وايجاد الحلول لهذه التحديات، فكل ما قدمته فجهد مقل من الباحث المقصر الذي

يستشعر بشرف انتمائه للغة العربية، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

1. ، عمر آدم محمد ، الحركة الادبية العربية في ولاية كدونا – نيجيريا ، رسالة الدكتوراة في اللغة العربية ، جامعة عثمان بن فودي ، ص-9، بتصرف، 2008م. و www.wikipedia.org
2. وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، جغرافية العالم الاسلامي ، ط – الخامسة ، 1402 -1982 ، ص 201.
3. سليمان الاب يوسف (الدكتور)، من مظاهر اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، ط – الأولى ذو الحجة 1431 هـ ، 2010م، ص-115 بتصرف.
4. سليمان الاب يوسف (الدكتور)، المرجع السابق ، ص 203 بتصرف.
5. سليمان الاب يوسف (الدكتور) ، المرجع السابق ص 115 ، وانظر الحركة الادبية العربية في ولاية كدونا ، المرجع السابق ص 9-10 بتصرف.
6. شيخو سعيد غلادنتي(أ.الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، ط – 2 ، سنة 1414 هـ - 1992م ، ص 75-79.
7. محمد طاهر سيد (أ. الدكتور)، مشكلات اللغة العربية في جامعتنا النيجيرية ، محاضرة قدمها بجامعة عمر يرأدو ، عام 2008م – 1429 هـ بتصرف.
8. www.ambafranch-ng.org/french-Ambassdor-visit-Nigeria
9. مكالمة هاتفية أجريتها معه يوم 2014/1/72 ، الساعة - 11:45 صباحا.